

5 - كيف لا يحقق الإنسان شيئاً

ستتوقف جميع العجلات، عندما
ترغب بذلك ذراعاك القويتان.

غ. هيرفيغ

إنه لأمر متعب حقاً أن يكون الإنسان كسولاً... أمر
مرهق جداً، وأكثر بكثير مما يتصوره الشخص النشط العادي.
الحقيقة هي أننا نحن الخاملين، نعمل دون انقطاع. إننا نعمل
ليلاً ونهاراً بغاية الجهد والصعوبة، لتحقيق نظام التحاشي
والتهرب الخارق المعقد، وتوازنه.

لكن هل يعلم أحد بهذا الجهد؟

هل يكافئنا أحد على ذلك؟

هل نكافئ نحن أنفسنا على ذلك على أقل تقدير؟

طبعاً لا.

إننا نخجل من ذلك . . .

والآخرون يوبخوننا . . .

إننا نعاني . . .

ذات النغمة القديمة المملولة.

دعنا نضع المشكلة أمامنا: كيف يمكننا ألا ننجز شيئاً؟

كيف نستطيع دوماً، ألا ننجح في أي شيء؟

سأحاول أن أشرح هنا بعضاً من عناصر هذا التهرب

والتحاشي. لعلك تتعرف منها على هذا أو ذاك.

لِمَ أنا كسول؟

يأتي على الكسول يومٌ، يعيش فيه دفعة فجائية من الطاقة

تدعوه إلى التساؤل: لماذا.



لَمْ أَنَا كَسُولٌ؟

من أين يأتي هذا التكاسل...؟

لَمْ أَنَا بِالذَّاتِ...؟

ويأتي الجواب:

لقد صرعتَ أبوين نشيطين مجدين، كانا قد عملا وكدحا كالعفاريت طوال حياتهما، قبل أن يداهما الموت ويخرا ضحايا الكفاح والتعب. وهكذا تَحَمَّلَا العواقب، سواءً عن وعي أو غير وعي. إنه أمر مفهوم ومقبول... لأنه رغم حرمان المجتمع للكسل من حماية القانون، فإن مجتمعنا لا يتفاعل بشكل صحي، بحيث يُصاب حتماً بالمرض الأشخاص الذين يعملون بسرعة قاتلة، ولا يتمكنون من التعايش مع هذه السرعة.

أو: أنك صرعتَ أبوين كسولين، لم تتلقَ منهما صفقة واحدة، وهذا ما أكتسبته أو ورثته عنهما.

وربما خَلَّفَكَ أبوان أَحَبَّكَ ودَلَّلَكَ جداً، لدرجة أن حملاً عنك مؤخرتك - وعذراً لهذا التعبير -، حيث أنك، وبعد أن أصبحت الآن شاباً، تقف هناك كالأبله، إما لأنك تبحث عن

شريك مشابه لهما أو لأن عليك أن تتعلم الآن كيف تحملها بنفسك .

أو: أنك صرعتَ أبوين لهما متطلبات كثيرة، نادراً ما ساعدك، بل كانا ينتقدانك دوماً، حتى أنك لم تتعلم كيف تنجز يوماً ما عملاً متقناً، وتتعرف إلى طعم السعادة المرتبط بذلك. ولأنك لم تتعلم في صغرك، كيف تجزّ العشب بالشكل الصحيح، ولم تُحرز نتائج باهرة في الدراسة، ولم تربح أية مباراة عالمية، ولم تكتشف النظرية النسبية، فأنت وتبعاً لذلك، قد توصلت إلى نتيجة مفادها، أنك لا تساوي شيئاً، كما هو الحال دوماً.

لكن . . .

من الممكن أنك كسول . . . ، رغم أن أياً من هذه الاحتمالات لا ينطبق عليك.

أود القول هنا، أنه ولو كان من المناسب أن تطرح على نفسك مثل هذا السؤال، إلا أن الإجابات المحتملة عليه ليست حاسمة بالنسبة لغرضنا، لأن البحث عنها سيحيد بنا حتماً عن هدفنا الأساسي.

المهم الآن فقط، هو أن نعمل شيئاً.

منعكسات التكاسل

إنَّ منعكسات التكاسل هي في جوهرها، وعلى الأرجح ردود أفعال دفاعية كلامية، لتحميننا وبسرعة البرق، من الإلتقاء بأي عمل أو مواجهة أية مهمة مقبلة علينا.



لتوضيح بعض الأمثلة التي تواجهني كل يوم:

س: «هل يمكنك من فضلك ...؟»

ج: «لا!»

س: «هل تعلم أين ...؟»

ج: «لا!»

س: «هل معك ...؟»

ج: «لا!»

س: «هل ...؟»

ج: «لا!»

ما معنى كل هذا...؟ بكل بساطة: أنني لن أقوم بإنزال القمامة الى الحاوية، ولن أعترف بأنني أجلس طوال الوقت إلى التلفاز، ولن أحرك نفسي كي أجلب قلم الرصاص أو كأس الماء، وحتى أن أقابل زوجتي.

كما ترى...، فإن ردّ المتكاسل يتمحور حول الرفض الصارخ «كلا عالية!»، تنطلق بشكل مؤكد وبسرعة البرق، قبل أن تتيح للسائل فرصة التقاط أي ردّ إيجابي، أو حتى إكمال السؤال. إن هدفي من هذا، هو عدم السماح بوصول فحوى السؤال الى سمعي أو إدراكي، كي أتحاشى أي

إزعاج من مجرد وجود أية فكرة عن نشاط ما يمكن أن يداهمني.

مما يؤسف له حقاً، أن بعض الأشخاص لا يستطيعون التفهم أو التعامل مع «كلا» الواضحة. كثير من الناس الذين (وعلى العكس من كثرة الثروة والهرء في هذه الأيام) يفرحهم جواب واضح ومحدد، لكنهم يقابلونني بتعابير وانطباعات وكأنني أكذب عليهم.

لكنني أود هنا أن أسأل: هل يمكن للمنعكسات وردود الأفعال أن تكذب؟

وحيث أنه لا يوجد لدي الوقت، لأنتظر وصول ردكم بالبريد، أجيئكم أنا مباشرة: كلا، وطبعاً كلا.

لدى هؤلاء الأشخاص حالة من الانحطاط والإحباط المرضي المتضخم، ولا يريدون أن يفهموا أن الأمر يتعلق هنا بحالة من الاضطراب التي كلفتني الكثير من التساهل والتنازل. وأصبحتُ كمن يسمح لشخص آخر أن يصفعه، لأنه رُشد في وجهه ماءً. حيث من المعلوم أنه لن يكون للصفعة أي أثر قانوني، إذا ما قام المرشوش ماءً بالرد بصفعة مباشرة دون تردد. وهذا ما حصل معي تماماً.

كما أنه ليس لدي الوقت ولا القدرة، كي أبين لكل من يسألني، أنني ومن خلال تدريبي اليومي، قد تقويتُ وترقيتُ الى

مستوى مهني ومختلف كلياً في فن الاستجابة. فإن أنت رششت الماء في وجه ملاكم محترف، فلا تستغرب، إذا تكسرت أسنانك وأصبح عليك أن تتناول إفطارك لعدة أسابيع قادمة، من الكوب المخصص للمرضى.

أصبح لدي في هذه الأثناء، مجموعة كبيرة من هذه الانفعالات والانعكاسات المرتبطة بالتكاسل، والتي لم تعد مشروطة بالتعبير الكلامي فقط، فلدينا مثلاً هز الرأس بعنف، فقدان الوعي المفاجئ، حالة حادة من الصراخ مع التشنج، النوم للحظات، تقمُّص حالة المتوفي، الترمُّم التعويضي وغيرها كثير.

ورغم ذلك فقد اتخذت قراراً مؤلماً لقلبي، وقررت أن أبتعد عن انفعالات التكاسل كلها، ليس فقط لأنني أود أن أستعيد صداقاتي، بل لأن هذا الإنعكاسات أصبحت تعيق تنفيذ مهماتي. ولأن ضجيج هذه الـ«كلا» الصارخة والحاضرة باستمرار، لم تعد تصرع الآخرين فحسب، بل أصبحت تؤثر فيّ أيضاً. لقد أصبح لدي الخبرة، أن هذه الحصيلة الكبيرة من «اللآءات» الداخلية، تمحو مع الزمن ببساطة أي حافز لدى الإنسان.

إذا كان لديك أية منعكسات (ردود أفعال) مشابهة، ووضعت نصب عينيك أن تتخلص منها، فاعلم أن هذا ليس

بالأمر السهل. من المهم جداً، خصوصاً في البداية، أن تراقب تصرفاتك في كل لحظة، كي تكتشف متى وكيف تحدث هذه المنعكسات.

هل يكفي أن ينظر إليّ شخص ما؟ أو أن يتمكن من رؤيتي؟ هل أنتظر، حتى يحاول تكوين كلمته الأولى للتعبير عن نواياه، أم أنني أقفز في وجهه مباشرة؟

تأتي الخطوة التالية، عندما تتوفر لدي المعلومات الكافية: يجب أن أتدرب على الرد بشكل مغاير، وفي كل حالة على حدة، وغالباً محاولة الإهمال أو العكس حسب الحال. فقد كان تمريني المحبب، أن استبدل كل «لا!» المبدئية بـ«نعم» ثابتة.

كان هذا طبعاً أمراً فظيماً، ومن نتائجه، أنني أصبحت أنزلُ القمامة على الدوام، وأرفع قفاي عن القعود المستمر، وأجلب القلم، ناهيك عن إشغال نفسي بأمر أخرى متعددة الجوانب.

كانت هذه بالمجمل طريقة المسايرة (قول نعم وحاضر، ما أمكن)، إنها تجربة مثيرة حقاً، وتُمثل بالنسبة لي تصرفاً غريباً ومغايراً تماماً لما كنت عليه في السابق. فقد وجدت الكثير من الأصدقاء الجدد، وعاد الجيران لتحيّتي ومبادلتني الابتسامات.

أقول لكم بجد: إن التكاسل يصنع الكسل والخمول. وقد

وجدت أنني، كلما أسرعت بإنجاز ما علي من واجبات، ولم أنتظر طويلاً وأحاول حماية نفسي منها، كانت المعاناة أضعف ومدتها أقصر، ولم أضطر لتخيل مدى صعوبتها لفترة طويلة.

إنها تجربة رائعة ومغامرة كبيرة، يمكن أن تعيشها مع نفسك في تتبع منعكسات التكاسل واكتشافها، ثم العمل على تغييرها كما ترغب، بإظهارها دوماً مفصلة. على الإنسان أن يقرر الإقدام على عمل مميز: كأن يقول ببساطة «نعم!» ذات مرة ويتحمل العواقب.



الحماسة الهمجية

الحماسة الهمجية، هي وسيلة أخرى لعدم إنجاز أي شيء، لكنها خفية بعض الشيء. عَرفتها أول مرة من خلال منظور أحد الكتّاب، لكن يمكن أن تنسحب على مجالات أخرى في الحياة، ولعلك قد تعرفت عليها أنت أيضاً.

إنها مزيج من دفعة مفاجئة من الأدرينالين مع حالة حادة من جنون العظمة. وهي تدفعنا إلى قدرة عالية وهمية، ومن ثم إلى الجنون، حيث تترك لدينا صداعاً، قد يحتاج المرء لعلاجه إلى تناول المهدئات لعدة أسابيع.

تظهر هذه الحالة عندي كالتالي:

إنه يوم عادي كبقية الأيام. أجلس بهدوء في ركن قصي، وعلى وجهي تعابير عمل خجولة. كل شيء عادي تماماً. تمر الأيام والأسابيع والأشهر، دون أن أحرك ساكناً، ولا أية خلية من خلايا دماغي. ثم يحدث الأمر الجلل. فجأة ودون سابق إنذار، تهبط عليّ من سماءٍ غائمة:

أصبح عندي فكرة...!

يا إلهي...!

أصبح عندي الآن فكرة...!

عندي فكرة رائعة، عبقرية هائلة، لم يسبق لها مثيل،
ستهز العالم، فكرة خيالية! أنطلق كالصاروخ، أقفز وأجري
وأطير في الهواء، نوري يشع في الظلام، مضيء وملوّن
وخلاب! والآن أرى نفسي باللباس الرسمي (بدلة سوداء وربطة
عنق)، أقف على مسارح الدنيا، تُسلط عليّ أضخم الأضواء،
تُحيني جموع غفيرة، بينما يحاول شخص ضخم أن يمنحني
جائزة نوبل بالقوة، وفجأة (وبلمح البصر) ينتهي كل شيء،
وتتلاشى الفكرة وحلم اليقظة إلى رماد.

أراني أقفُ بقميصٍ بالٍ، في الظلام، وسط الصحراء أو
الغابة، لا أدري. ومع ضوء النهاية البارد الخافت تتحطم الفكرة
وتتحوّل الى غبار متناثر... إلى شيء هزيل ومبتذل وليست له
أية قيمة.

رماد...؟

يا للعار... إنني أشعر بالإهانة.

أعود إلى ركني المفضل.

لماذا القيام من مكاني، أو حتى التفكير بأي شيء؟

لماذا العمل؟

لماذا أنجز واجباتي؟

طالما أن شيئاً لن ينجح... وهكذا دواليك...

لن تقدم لنا هذه الحماسة الهمجية (الأفكار الجهنمية)، الطاقة (الوقود) اللازمة لمسيرتنا الطويلة التي أماننا. إنها لا تترك لدينا سوى الإحباط، والانطباع بأنه لا معنى لأن نهب للعمل. ولا تعطينا حتى أدنى درجات الأمل، بأنها يمكن أن تلفنا غداً وتحملنا إلى الطريق الطويل الذي أماننا. لكن هناك آلاف من البشر، قابض كل في ركنه ينتظر الفرغ - طوال حياته.

أماننا درب طويل جداً وشاق (سباق الماراتون)، ألا يجدر بنا أن ننطلق ونبدأ العذو كما لو أن أماننا مسافة مئة متر للجري.

من الطبيعي أن يمنحنا العمل بعض المتعة أحياناً. لكن هذا ليس هو الغرض الأساسي، بل إنه أثر جانبي. إنه هدية بسيطة. وإذا استمر العمل دون انقطاع، يكون عندئذ ملهماً ويمنحنا القوة. أما الحماسة الهمجية (الأفكار الجنونية الخيالية) فتتلاشى وتذهب أدراج الرياح، إنها فارغة ولا تعطي أية قوة، إنها كريح يخرجها شخص في الهواء.

ال (لو)

يوجد قليل جداً من الأشياء التي يختلف عليها البشر مثل ال(لو) الكبيرة. إنها التعبير الملكي عن التكاسل والبطالة والفشل.

«لولا وجود هذه الكَلِيْمَة البسيطة ال(لو)، لو كان والدي مليونيراً...»، كانت هذه الجملة كثيراً ما تتردد على مسامعي وأنا طفل صغير. وقد فهمت من ذلك، الرسالة التي كان يُقصد أن تصلني، لكن ورغم ذلك، لم تَغِبْ تلك ال(لو) الأبدية عن وعيي.

ومع أنني أصبحت شاباً منذ زمن بعيد، وحصلت على صديقي الأول ورخصة القيادة وسيارتي الأولى ومررتي الأول وأمر أخرى متعددة، فما زلت أدفع أمامي موجةً من (اللوات) الجديدة.

لو أنني قمت أولاً بكذا ... ، لأصبحت ...

لو أنني لم أفعل كذا ... ، لكنت ...

لو أنني ... ، لو أنني ... ، لكنت ... ،

لكنت ... ، لكنت ...

من الطبيعي أننا نحتاج إلى الأهداف والأمنيات في الحياة، لكن ما العمل إن لم يكن والدي غنياً، وليست هناك أية فرصة، لأن يصبح هو أو أنا كذلك، فمن غير المنطقي أن نضع ذلك الغنى شرطاً لترتيب حياتنا المستقبلية، أو أن نعلق عليه الآمال.

ينطبق هذا طبعاً وبنفس القدر على أمنيات أخرى متعددة، كالعمر والمظهر ومستوى الذكاء، أو ربما على المنهج اليومي الشخصي. لديّ الآن إمكانية واحدة فقط: ألا وهي، أن أجعل من نفسي أفضل ما يمكن وأن أتقبل حالي كما هو اليوم. قد يبدو هذا التصور مُخْبِطاً مبتدلاً، لكنه رغم ذلك حقيقة واقعة. إنني لم أرَ في حياتي على أي حال، شخصاً يصبح أكثر مالاً أو شاباً أو ذكاءً أو أجملَ من خلال أمنياته و(لَوَاتِهِ) فقط. كما أن المزاج الجيد والفرح لا يأتيان من ذلك وحده.

كذلك وناهيك عن «اللواتِ» المستديمة، فإن الوقتية منها أيضاً مثل: (لو لم يكن الجبس في قدمي، لجريت مسافة كذا وكذا...) أو الشرطية مثل: (حتى لو دفع لي ضعف الراتب، فإنني مصمم أن أترك العمل وأخرج إلى التقاعد)، وشبيهاتها مثل «في حالة...» و«طالما...» و«لو لم...»، وغيرها، فإنها تخدم أغراض تأجيل أعمال الإنسان وتسويقها وعرقلتها، في الحالات التي كان يجب فيها القيام بهذه الأعمال وإنجازها.

وحول هذا يدور الموضوع.

إن لب الموضوع هو العمل والإنجاز، لكن، وليس بأي حال من الأحوال، عندما يسمح الوقت أو شخص ما أو أي شيء آخر، بل الآن وفوراً.

الآن... الآن... الآن...

هذا هو نصف العمل...

إن فكرة إنجاز مهمة ما، تعني إنجازها الآن فوراً - مهما كانت طبيعتها - وليس تأجيلها إلى ما بعد الطعام، أو حتى يتوقف المطر، أو إلى أن يزول وجع الرأس، أو إلى أن يصبح الديك، أو حتى يخرج الهر من المنزل، أو إلى أن تحصل المعجزة، أو حتى أربح ورقة اليانصيب أو إلى ماشاء الله.

الآن... الآن... الآن!

دوماً الآن...

إن التسويف لن يخفف المعاناة. بل سيعطينا، مزيداً من الوقت لمزيد من التخوف، وإضافة نوع من الرهبة والمبالغة في صعوبة المهمة التي سنقدم عليها.

الآن فوراً...

ودون إضافة «حتى...» أو «إلى أن...» أو «ربما».

حتى وإن شعرنا بصعوبة ذلك.



فن اختلاق الذرائع

ينصب اهتمامنا وطموحنا بشكل طبيعي على اختلاق وتقديم أفضل الذرائع والأعدار الواهية، بدل القيام بالأعمال المتوجبة علينا على أفضل وجه ممكن. يمكنني سرد كثير من الشروحات الثانوية، والتي أطرحها باستمرار، دون أن تكون لديّ بها أيّة قناعة. وأرجّح أن بإمكانك إضافة عدة صفحات منها أيضاً. كلنا يعلم طبعاً، أن معظم هذه الذرائع والحجج واهية تماماً، ولا تخدم سوى غرض التسويق والتهرب من أية مسؤولية أو مهمة محددة بنا. نجد من ناحية أخرى أن هذه الحجج، إنما هي تعبير واضح عن إبداعنا الذي نتميز به، وهذا يستحق الثناء على أي حال.

تبرز المشكلة عندما يكتشف المرء، ما عزمنا عليه: ألا وهو أن نقر بالمهمة المنوطة بنا، ونفكر بإنجاز العمل الذي أماننا كما يجب. لأنه علينا عندئذ القيام بشيء ما في مواجهة ذرائعنا المعتادة. ولن يكون الأمر سهلاً في كل الأحوال، لأننا معتادون عليها حتى لم نعد نستطيع السيطرة عليها في بعض الحالات. إننا نستخدمها بكثرة ومنذ مدة طويلة، بحيث أصبحت

متأصلة في تركيبتنا الشخصية مثل منعكسات التكاسل.

ناهيك عن أن الكثير من هذه الذرائع، يأتي بلباس التبريرات السليمة الصائبة، الأمر الذي يزيد المشكلة تعقيداً. يمكنك الآن، وإن لم يبد لك أن في الأمر شيئاً من الغباء، أن تسجل فيما يلي ثلاثة من ذرائعك المفضلة:

1.
2.
3.

وإن كنت تمر بلحظات من الشجاعة الكافية، فيمكنك أن تسأل بعض أصدقائك ومعارفك المقربين، عن مدى تقييمهم لقدرتك على اختلاق الأعذار والتعليلات. من المرجح ألا يكون اليوم أحد أفضل أيام حياتك، لكن من المؤكد أنه مفيد لقدرتك على العمل والإنتاج.

فإذا ما تمكنت في النهاية من التعرف الى حججك وذرائعك، عليك ألا تفعل شيئاً الآن. تأكد أولاً من أقوى ذريعة لديك. راقب نفسك بكل هدوء وروية، ولاحظ في أي الحالات تطفو على السطح هذه الأعذار في تفكيرك وأحاديثك. اعطِ لنفسك مهلة دون أن تفعل أي شيء، ووازن بين هذه الأعذار بحكمة وثقة.

وعندما تتأكد تماماً، متى تُحبُّ أن تُظهر نفسها هذه الذرائع وتنبثق من بين الأدغال، لتقفز من فمك، عندئذٍ إضبط نفسك ولا تستخدمها.

نعم...، إن كلمة الاعتذار هذه تريد أن تنطلق، لكن بإمكانك أن تمنعها.

أما إذا كان مجرد السكوت، سيسبب لك الإحراج وربما ضيق الصدر، فقل عوضاً عن ذلك أية جملة أخرى، ومهما تكن تلك الكلمات، طالما أنها لا تحمل سمات التعلل والتذرع.

فإذا كان تذرعك المحجب هو: «يا إلهي كم أنا تعب...» أو «إن حالتي سيئة للغاية...» أو «لدي اكتئاب حاد...»، فقل عوضاً عن ذلك: «نعم... لا يوجد مشكلة...» أو «نعم...، هذا الأمر يمكن أن يتم...»، أو أية جملة أخرى تُلغِي الصمت، وتحمل سمة القبول والموافقة.

يحتمل أن يبدو لك الأمر، وكأنه تصرف مصطنع أو أن فيه شيئاً من الكذب أو النفاق...، هذا صحيح بالطبع. لا تتردد واقدم على ما عزمت عليه رغم ذلك. فطالما أقدمنا على الكذب مراراً وتكراراً، كي نتحاشى القيام بعمل ما، فلا بأس أن نفعل ذلك الآن لمرة واحدة، لغرض نبيل.

من الأمور المساعدة أيضاً ما يدعى بـ «حيلة ال (إه)».

حيث يَجْرِ الحديث عن ال «إه» الملائنه، التي يدخلها كثيرٌ من الناس في أحاديثهم. ينصح أساتذة النطق بأن تبتلع ريقك في كل مرة، تريد أن تقول «إه». إذأ: لا تلجأ إلى التعذر. يمكن أن تستخدم ال «إه»، لكن يفضل أن تبتلع الإثنين مباشرة إلى الداخل ثانيةً.

في حال عدم نجاح هذه الطريقة، إليك حيلة أخرى من ذات الفصيلة: دَوِّز الشيخ باستمرار. فإن لم يساعدك ابتلاع الريق، فعليك تكرار وإعادة استخدام ال «إه» ما أمكن. كما يمكنك أيضاً، وإن لم يُفدك أي شيء آخر، أن تعيد وتكرر قول جملتك الشهيرة للإعتذار بصوت مرتفع جداً، (بمناسبة وغير مناسبة). ببساطة، عليك أن تظل تثرثر بها حتى تقضي عليها. وستجد بعد مدة، أن هذه العبارة تكاد تخرج من رقبك أو تخنقك. قد لا يبدو الأمر جميلاً ومحجباً، لكن الأعداء الواهية هي التي تنغص علينا الموقف.

عندما تتخلص من هذه المرحلة بنجاح وتُلقي بها وراء ظهرك، التفت إلى عبارة الاعتذار التالية، وأعد المراحل السابقة بالكامل حتى تتخلص منها.

«لكني متعب فعلاً!»

بلى! لكننا نتحدث هنا عن أعداء واهية، (وليس عن مبررات حقيقية مقبولة)، يمكن أن نوردها كاعتذارات، لأن عملاً ما لا نرغب القيام به.

إذا كنت متعباً حقيقةً، فعليك أن تخذل إلى السرير، وإذا كنت متعباً على الدوام، فعليك مراجعة الطبيب. وإن لم يجد شيئاً، أو ثبت له أنك تصبح متعباً فقط عندما يترتب عليك البدء بعملٍ ما، فأنت لديك مشكلة، يمكن التغلب عليها بمعالجة طبية. عندها يمكن القول أنك، على الأرجح، لم ت اخترع الذرائع بل تعايشت معها.

يمكنك معرفة حقيقة الأمر إذا أردت.

كما يمكنك تغيير ذلك أيضاً.

إذاً، وهكذا تنتهي سلسلة موضوع «كيف لا يحقق الإنسان شيئاً».

دعنا نتوجه جميعاً إلى الخلاص...



6 - الصدفة

لا أحد يدري، ما المدى الذي يمكن
أن تصل إليه قواه، حتى يختبرها.
يوهان فولفغانغ فون غوته

لا داعي للخوف، فأنا لن أقوم بأية معجزة أو أي شيء
من هذا القبيل. بل أود فقط أن أذكر بالصدفة، التي ربما
عايشتها بنفسك أو شاهدتها تحصل مع الآخرين على أقل
تقدير.

تحصل هذه الصدف غالباً مع مهمات، مرتبطة بمواعيد
محددة، أي مع أعمال لها موعد تسليم ثابت أو موعد إمتحان
لا يتغير.

يمكن وصف الحالة بالتالي:

الموعد يقترب أكثر فأكثر .

ونحن لا نفعل شيئاً.

إننا نعلم أن علينا عملَ شيءٍ ما. حتى أننا نفكر فيه كثيراً ولا يغيب عن بالنا. لكننا مع ذلك لا نفعل شيئاً.
والموعد يقترب أكثر فأكثر.

الآن نشعر أن علينا أن نبدأ بالتدريج، وإلا فات الأوان،
إننا نعلم ذلك تماماً، لكننا لا نستطيع ذلك. لا نستطيع أن
نباشر شيئاً. رغم أننا نفكر بالعمل، نعم... إننا نستطيع ذلك!
هذا واجب علينا على أي حال. علينا أن نفكر به ليلاً ونهاراً،
كم هو مُخيفٌ هذا العمل وكم هو أمر مُروع، إننا لم نباشر
بهذا العمل المخيف بعد. وإن مجرد التفكير فيه، أمر مرهق
ومزعج للغاية. تماماً كما هو إرهاق القيام بالعمل بحد ذاته.

ويقترب الموعد دون توقف. يخيم علينا، كظل جدار
ضخم ومعتم.

نبحث بيأس عن مخرج من هذا المأزق الحرج. ربما
نتمكن من التوسط أو التوسل لتأجيل الموعد، أو نعتذر
بتقرير مرضي مزيف؟ ربما نتمكن من الوقوع في المرض
حقيقة. أو نقع على الدرج في الوقت المناسب وتنكسر يدنا
أو ساقنا.

لكن سيأتي اليوم الذي نكون فيه قد استنفذنا جميع
التأجيلات، واستخدمنا جميع الذرائع والحيل وكسر كثير من
العظام. وفجأة نجد أنه قد حانت ساعة الحقيقة.

ثم يحدث كل شيء :

لا يوجد أي أمل كي ننجز في هذه الفترة الوجيزة جداً، ما كان يجب أن نبدأه قبل عدة أسابيع أو أشهر. لكن الآن وفجأة، وفي وقت متأخر جداً، ينطلق المحرك ونبدأ العمل كالمجانين، ليلاً ونهاراً، صباحاً ومساءً، الساعات الطوال، دون انقطاع. بأقصى طاقة وكامل القوة وقمة الإرادة!

صدفة... أليس كذلك.

كثيرون يعرفون هذه الحالة من أيام الدراسة، وذلك عندما كانوا يبدؤون الدراسة في ليلة المذاكرة فقط أو حتى في الصباح الباكر قبيل الاختبار بساعة أو ساعتين. الوقت متأخر طبعاً، متأخر جداً، لكن ومع ذلك قد تجري الأمور.

يبدو أنه توجد لدى الإنسان لحظة تحوّل نفسية، نبدأ منها بحكم العادة - وحتى العاطلون تماماً - بالقدرة على مباشرة العمل.

لكن لماذا لا نبدأ مبكراً، ولماذا فقط عندما لا يبقى أماننا أية فرصة أخرى؟

الجواب: لأن الضغط ازداد بما فيه الكفاية.

إنه لأمر ملفت للنظر فعلاً، أنه عندما يزداد الضغط إلى حد معين، نستطيع حتى نحن الكسالى أن نعمل شيئاً فجأة.

عندها نستطيع إنجاز عمل ما، كان من المستحيل أن نقدم عليه سابقاً. وقد يصادف أن تيسر الأمور وتنتهي بسلام، وننجح بالامتحان، وندرك الموعد المحدد، أما على الغالب فيكون الأمر عكس ذلك.

يميل الحظ على الغالب مع المجدّين، الذين يباشرون مهامهم مبكراً، وفي الوقت المناسب. فهم غالباً ما ينجحون بشكل غامض، إنهم يحسبون الوقت اللازم بكل هدوء وروية، يضعون الخطة المناسبة، ثم ينفذونها بالتسلسل المنطقي، ودون أي تأخير أو مماطلة. أما نحن الكسالى فلا. إننا نباشر أعمالنا - إذا بدأناها أصلاً - بعد فوات الأوان .

لم يكن الوضع أننا لم نتمكن المباشرة في أي وقت من الأوقات. بل نستطيع، حتى نحن الكسالى، وعندما ينطلق القطار - في اللحظات الأخيرة - أن نعمل شيئاً ما.

حيث يوجد ما يكفي من الضغط.

إننا نحسب حساباً للضغط.

وهكذا نتحرك...